التاريخ المدون في افق القرن العشرين

جوزف مجدلاني: الحضارات القديمة تعنى بالانسان والتكنولوجيا جديدة تريحه اكثر مما تفيده

تخبرنا الحضارات القديمة عن تطور انساني لم تشهد بشرية اليوم مثيله بعد، فحضارة الاغريق ومصر الفرعونية وحضارات بلاد ما بين النهرين، والمايا والكلتيك وسواها، تنم عن تطور باطني حضاري، وتكشف عن تقدم ثقافي، علمي وفني، يدفعنا الى السؤال: ايهما الاكثر تطوراً ونمواً باطنياً... إنسان الحضارات القديمة، ام انسان القرن العشرين؟

الجواب السريع الذي يعطينا إياه اليوم الاغلبية من الناس وحتى من العلماء هو ان انسان القرن العشرين هو الاكثر تطوراً ورقياً وذلك اعتماداً على ان التطور المادي والتكنولوجي في القرن الحالي لم تعرفه بشرية القرون الماضية.

في راينا ان هذه الاجابة تشير الى تحيز وربما الى عدم اطلاع واسع ومتعمق على انجازات تلك الحضارات التي اغنت التاريخ والعلوم بتوصلاتها! حتى وان لم نكن نرغب في العودة الى الماضي البعيد، يكفينا التأمل في حضارة العرب في العصرين الاموي والعباسي. نحيل سؤالنا هذا الى الايزوتيريك، علم البواطن الذي يطرح نفسه كاقدم علم على الارض، وايضا كعلم المستقبل، فيجبنا الدكتور جوزيف مجدلاني مؤسس مركز الايروتيريك في لبنان (وله اثنان وعشرون كتابا في مواضيع الايزوتيريك المختلفة).

يقول: القرن العشرون يشهد حضارة تكنولوجية وثقنية مادية لا مثيل لها في «التاريخ المدوّن»! لكننا لا نستطيع مقارنة هذه الحضارة بالحضارات القديمة، اذ ان تلك الحضارات لم تتطرّق الى النواحي المادية والتكنولوجية، بل الى النواحي الانسانية - العلمية، الثقافية والفكرية... على نقيض حضارة القرن العشرين التي تركز جل اهتمامها وابحاثها في التعمق في الشؤون المادية، وفي تطويع المادة، والتحكم فيها، وتطوير علومها تكنولوجيا فقط!

ويضيف: على سبيل المثال، نجد في الحضارات القديمة اهتماما بالعلاقات الانسانية والاجتماعية، فنكاد لا نجد مثيلا له اليوم. فانسان الزمن الماضي حاول تنظيم العلاقات الانسانية بحيث سنّ الشرائع، ووضع الانظمة والقوانين التي ارتاها مناسبة لانسان ذلك العصر، شريعة حمورابي، اكبر مثال على ذلك، تصور افلاطون للمدينة الفاضلة، وقوانين مانو في الشرق الاقصى، كلها أمثلة عن مسعى الانسان القديم.

على صعيد اخر، نجد الحضارات القديمة تُعنى بالانسان، وتسعى لتطوير امكانياتها من منطلق اعتنائها بالانسان. فالفلسفات اليونانية ما نشات الا لتوسيع مدارك الفكر الانساني... والعلوم الطبية والحياتية عند العرب الاقدمين كان محورها الانسان... خلافا لحضارة اليوم التي نجدها تصبّ جلّ اهتمامها في تطوير التقنية والتكنولوجيا المادية في سبيل إراحة الانسان اكثر من افادته، وفي سبيل تقديم العلاج اكثر من إرشاده الى سبيل الوقاية!

الواقع والتناقض في الحضارة اليوم

● هل تعني بطرحك هذا ان حضارة القرن العشرين عبء على الانسان؟

□ ما من حضارة يمكن ان تكون عبئاً او عديمة الفائدة، فكونها تعبيرا عن تطور ما، يكفي لتصبح ذات فائدة، لكن المقصود بما ذكرته، هو ان الحضارات القديمة كانت تُعنى بالقيم الانسانية والثقافية والعلاقات البشرية، اكثر مما تُعنى بها حضارة اليوم. فالعلم في الماضي الغابر، كان يسخر لاجل إفادة الانسان، وتطوير مستواه الحياتي والمعيشي، الفكري والثقافي. اما في حضارة اليوم، فان الانسان يسخّر نفسه في سبيل تطوير المادة والتكنولوجيا، وهذا واقع تناقضي، غير منطقي!».

واضاف مجدلاني: انا الآن اطرح عليك سؤالا:

- هل اخبرتنا المجلدات التاريخية عن حروب عالمية شُنت ايام الفراعنة، او الاغريق، او الفرس، او الرومان... كانت بفظاعة وبضراوة الحربين العالميتين الاولى والثانية... او حتى بشراسة الحروب الاهلية والمناطقية في يومنا هذا؟!

لا بالتاكيد يجيب والسبب يعود الى تطور التكنولوجيا، وبالتالي الى تطوير الاسلحة الحربية.

● وعلماء اليوم؟

□ باتوا يركزون جلّ اهتمامهم على تطوير التكنولوجيا وحدها، غير ابهين بالنتائج التي سيحصل عليها الانسان من جراء هذه التكنولوجيا. وكانهم لم يفكروا الا بالمردود المادي، ولم يطمحوا الا الى الشهرة... ولو ان علماء الماضي شاؤوا اختراع الاسلحة المدمرة التي يعرفها انسان اليوم، لتمكنوا من ذلك دون شك. لانهم كانوا يملكون الاسرار والوسائل والمعرفة الكافية. لكن تفكيرهم كان موجها نحو هدف معين: افادة الانسان، وتطوير وعيه، لا إبادته عن طريق تطوير الاسلحة المدمرة والوسائل الفتاكة!

● هل تقصد بذلك ان انسان الحضارات القديمة كان اكثر تطورا من انسان اليوم؟

□ وهل حضارات انتجت العلوم التي ما زالت منطلق علوم اليوم... وسنّت الشرائع الحياتية التي ما زالت الركيزة الاساسية في شريعة اليوم... وقدّمت الفلسفات وعلم المنطق التي تعتبر القاعدة في تفكير علماء اليوم...

وخلفت الهندسة الرائعة والعمارات الخالدة، كالاهرام، والمعابد الضخمة، والمدرّجات، والابراج، التي ما زالت مدار بحث ودراسة لدى علماء اليوم...

وابدعت فنونا فاقت ابداع فنون اليوم...

واتحفتنا بعلماء واطباء ومهندسين، يعتبر علماء اليوم، واطباؤه، ومهندسوه، تلامذة لانجازاتهم...

الا يدل ذلك على ان تلك الحضارات كانت اعظم من حضارة اليوم؟

الا يكفي ان انسان اليوم يسترشد بها، او ياخذ توصلات الماضي ونتائجه، ويسعى الى تطويرها وتحسينها، دليلا على عظمة ذلك الماضي؟!

الحياة والتطور

● لكننا نعلم ان الانسان الى تطور، والحياة الى تطور... فهذا هو القانون الطبيعي للحياة. هل تعني بطرحك هذا ان حضارة اليوم هي تقهقر لحضارة الامس؟!

□ صحيح ان قانون الحياة هو التطور، لا بل ان هذا القانون يفرض نفسه على الانسان، لكن الانسان اليوم يتجه اتجاها ناقصا في تطوره الحضاري، طالما هو يكثّف جهوده في سبيل تطوير المادة، متناسيا او متجاهلا الجانب الانساني من نفسه!

اين علم النفس من تطور الاسلحة اليوم؟ علم النفس يبدو طفلا بالنسبة الى التطور المستحدث في الاسلحة المدمرة!

اين طب الدماغ من تطور علم الكومبيوتر؟ ما زال طب الدماغ هو الافقر معرفة باعتراف اطبائه، من بين سائر فروع الطب!

اين هو علم الباطن الانساني من اختراع المركبات الفضائية؟ علم الباطن الانسان ما زال مجهولا عند معظم العلماء والمخترعين!

هذا ما قصدته. جهود العلم والعلماء المحدثين تنصبّ على المادة وليس على الانسان! وهذا ما يجعل حضارة القرن العشرين اقل تطورا من حضارات الماضي الانساني.

فبعد انقضاء تلك العصور والعهود على ذلك الماضي الغابر، كان من المتوقع ان يتوصل انسان اليوم الى حضارة ذاتية انسانية متطورة... الا انه توجه نحو الحضارة المادية والتكنولوجية. وها هو ما زال متخبّطاً في اللاوعي الذاتي، والظلام النفسي، والحروب، والمجاعات والاوبئة، والامراض التي تتفاقم يوما بعد يوم. ومع كل النجاح المادي الذي احرزه العلم، والتطور التكنولوجي الذي بلغه، نجده عاجزاً عن مقاومة امراض كثيرة، او جرثومة غريبة تفتك به!

ومع كل التحضر الذي اعتقد انه حققه، نرى الانسان اعجز من ان يفرض سلاما بين الدول، او ان يحقق نظرية «المدينة الفاضلة»!

ومع كل الانجازات الخارقة التي قام بها الانسان على صعيد غزو الفضاء... نلقاه يلجأ الى دواء دون ان يدري علة مرضه... او الى مسكن لالم لا يعرف مصدره، او سببه، او وسيلة تفاديه!

واذا ما اجرينا مقارنة بين انجازات الماضي وانجازات الحاضر، قياسا الى عامل الزمن، نجد ان الحضارات القديمة قدمت وانتجت وابدعت اكثر مما تقدمه حضارة اليوم!

ويكفي صمود صرح شامخ (كالهرم)، او شريعة، او قانون، او نظرية، او علم، او فن، او حتى ذكرى شخص... دليلا على رساخة وثبات تلك الحضارات التي رفلت بها الارض، ونَعِمَ بها الانسان!

حضارة المستقبل

● ما هو مصير حضارتنا الحالية في اعتقاد الايزوتيريك؟

□ الحضارة التكنولوجية مهمة، لكن الحضارة الانسانية هي حضارة المستقبل. اذ ان واجب الانسان ان يعرف نفسه قبل ان يعرف محيطه!

سيبقى من إنجاز حضارتنا ما هو مفيد لانسان المستقبل، وسيضمحل ما هو غير مفيد... تماما كما حصل في كل حضارة شهدها الماضي.

هنا يرد الى ذهني مثل قديم يقول: يمكنك ان تعرف حضارة الشعب، من خلال الموسيقى او الفنون التي يقدمها!

واذا ما قارنا الفن الكلاسيكي، وخلوده وثباته، بالفن الحالي، يكفي ذلك تاكيدا على ان حضارة القرن العشرين لن تستمر، ولن تعمّر طويلا ما لم تندمج وتترافق والحضارة الانسانية، اي الحضارة الباطنية - علم باطن الانسان - حضارة الوعي الذاتي والسلام العالمي، والرفاهية والرخاء في كل المجالات.